لمحات عن :
بعض المدن القديمة
في شمال غربي الجزيرة العربية

د • عبد الرحمن الطيب الأنصارى

رئيس قسم التاريخ
كلية الآداب ـ جامعة الرياض

لقد لعبت التجارة دورا بارزا في حياة سكان شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وكانت الطرق التجارية عاملا كبيرا من عوامل نشاة المدن والممالك في جنوب الجزيرة العربية وشمالها • والطرق البرية أوضح تاثيرا في تفاعل القبائل العربية الى حد كبير من الطرق البحرية • ويمكن أن نهتدى الى الطرق البرية ومعرفتها بمعالم اهمها: وجود مدن ذات ارتباط تاريخي في منطقة من المناطق ، وفي خط يغلب ان يكون خطا متصلا ، وهذا نجد له مثالا في الطريق التجارى بين جنوبى الجزيرة العربية وشمالها ، وهناك علامة أخرى نتعرف بها على الطريق البرى وهي النقوش أو الكتابات من حيث كثرتها ، وخاصة الكتابات الجنوبية وما تفرع منها مما كتبه بعض الحكام أو الولاة وله مفهوم تاريخى يلقى ضوءا على بعض الجوانب الحضارية سواء ما اتصل منها بالجانب السياسي أو الاجتماعي أو اللغوى •

وهذه النقوش توحى الينا بان هذه المنطقة قد استعملت كمركز لمرافقي القوافل التجارية ، ووجود الاكام الاثرية عامل ثالث نهتدى به الى معرفة الطريق البرى ، ذلك لان المراكز والمدن الدارسة والتيأصبحت اكاما أثرية غالبا ماتجاور الوديان واماكن تجمع المياه ، وبناء عليه فانه اذا ما توفرت لدينا كل هذه الأدلة أمكننا ان نتعرف على الطرق التجارية البرية ٠

واهم الطرق البرية في الجزيرة العربية قبل الاسلام ، هو الطريق الذى يبدأ من عدن ، وقنا في بلاد اليمن ، وحضرموت مارا بنجران ، وهنا يتجه لمرع شمالا بشرق في اتجاه وادى الدواسر ويمر بقرية الفاو ثم الافلاج فاليمامة ملتقيا بطريق آخر سنتحدث عنه ، أما الطريق الرئيسى فيتجه الى الطائف فمكة والمدينة وخيبر فالعلا ومدائن صالح ، وينفصل الطريق هنا ليتجه فرع منه الى تيماء صوب العراق ، أما الفرع الثاني فيستمر في نفس الاتجاه حتى البتراء فغزة فبلاد الشام ومصر ٠

والطريق الثاني وهو الذى يرفد البحر العربي والمحيط الهندى والممالك العربية الجنوبية ، وخاصة حضرموت ومنطقة عمان ، ويبدأ من الخليج متجها شمالا بغرب مارا بمحاذاة الحدود الشرقية لنجد فمنها بعدئذ : اما الى الشمال في اتجاه العراق ، واما الى بادية الشام ، أما الطريق الثالث فهو الذى ياتى من منطقة حضرموت وعمان ، متجها الى منطقة اليمامة عبر الحافة الشرقية او الغربية للربع الخالي ، صاعدا الى بلاد الشام أو العراق ، حيث يلتقى بالطريق الشرقى ٠ وبفرع الطريق الغربي ٠

وعند ما نتحدث عن الطرق البرية فكاننا نتحدث عن الدول والقبائل التي استعملت هذه الطرق ولعل اهم هذه الدول هي دولة سبا ومعين ، وقد بلغت دولة سبا شانا كبيرا في التجارة ، نتيجة لاستعمال الطرق الكبرى والسيطرة المباشرة او غير المباشرة عليها ، وكذلك فعلت دولة معين وهي معاصرة لها ، في حين نجد أن دولتين اخريين استعملتا الطريقين معا : البرى والبحرى ، وهما دولتا حضرموت وقتبان ، وذلك بحكم موقعهما الجغرافي ، وقد تحدثت التوراة عن تجارة سبا ، كما تحدث القرآن الكريم عن مستوى الرفاهية الرفيع الذى وصلت اليه مما يمكن أن نتبينه من قصة ملكة سبا مع نبي الله سليمان ، وكانت سبا تتاجر ببضائع ذات قيمة كبيرة ، وهي الذهب والفضة والاحجار الكريمة والتمور والبخور ، كما كانت تستورد من بلاد الشام والعراق أنواع المنسوجات ، ونلاحظ ان الكتاب الكلاسيكيين قد اندهشوا لما عرفوه عن السبئيين من أن لديهم كميات كبيرة من مصوغات الذهب والفضة ،كالاسرة والموائد الصغيرة والانية ، اضف الى ذلك فخامة منازلهم ، فالابواب والجدران والأسقف كانت مختلفة الالوان ، لما يوضع عليها من الفضة والعاج والذهب والاحجار الكريمة ، ورغم ما يبدو في هذا الوصف من مبالغة الا أنه في نفس الوقت يعطينا فكرة عن الرفاهة التى كان يتمتع بها سكان جنوب الجزيرة العربية ٠

وكانت دولة معين تماثل دولة سبا في هذا المضمار ، واستطاعت أن تتحكم اقتصاديا في مناطق كالعلا ومدائن صالح وبعض المناطق في مصر ، ويذكر الكلاسيكيون ان المعينيين كانوا يملكون ارضا غنية خصبة تكثر فيها الاشجار والنخيل ، وانهم أعظم القبائل ثروة بما تنتجه غاباتهم الغنية بالاشجار منعطور ، وبما يملكونه هم والسبئيون منمناجم الذهب ومايننتجونه منعسل وشمع وعطور ٠

ومن ثم فان الطرق هي وسيلة الاتصال الكبير بين الجنوب والشمال ، ومن ثم بين العرب والساميين وغير الساميين في الهلال الخصيب ومصر وحوض البحر المتوسط بشكل عام ، وكانت الدول المحاذية لهذه الطرق تعتمد على الضرائب التي تجنيها من البضائع المارة ، وقد استغلت دول الجنوب وبعض دول الشمال موارد الثروة بجميع أنواعها في تجارتها فاستغلت الموارد الزراعية الى جانب التجارة ، ونتيجة لهذا الرخاء نشطت حركة الفنون والعمارة وارتفع مستواها ، كما استطاعوا ان يستغلوا الموارد الطبيعية احسن استغلال ، وأن يتبعوا نظاما خاصا لكيفية الاستفادة من مياه الاودية والسيول ، فبنوا عددا من السدود ، أهمها سد مارب ، وكان لكل دولة نظام اقتصادى ينظم شئونها ، ويرعى حقوق الدولة والفرد في آن واحد ٠

أما دول الشمال فيما قبل الميلاد فلا تساعدنا الكتابات كثيرا على التعرف على هذا الجانب من حياتهم ، ولكن النحوتات كالمقابر وغيرها تشير الى أن نوعا من الرخاء قد شمل المدن والممالك في شمال غربى الجزيرة العربية ، لاستراتيجية مركزها على الطريق البرى الرئيسي ، ولخصوبة أرضها نسبيا ، وهطول كمية من الامطار تكفى لقيام حياة زراعية مستقرة .

ومما لا شك فيه أن دول الشمال قد استفادت من تجربة دولة معين ، وخاصة عندما كان لها نفوذ في الشمال ، اذ من المعروف أن دولة معين حكمت منطقة العلا زهاء قرنين ، وسنلقى في الصفحات الآتية الضوء على بعض مدن الشمال الغربي للجزيرة العربية :

● العلا :

تقع في وآدى القرى ، جنوب شرقي حرة العويرض ، بين سلسلة من الجبال في الشرق والغرب ، وكانت تسمى قديما « ددن » وكلمة « ديدان » أو « ددن » ذكرت في التوراة ، كما ذكرت في بعض النقوش الاشورية ، وقد اختلف العلماء في مدلول الكلمة ، فهناك منفهمها على أنها اسم للمكان نفسه ، ومنهم من حاول أن يقرن بين الاسم وبين اسم الاله (دد) الذى كان يعبد لدى الساميين الشماليين . وقد سكنت مدينة «ددن» أو « العلا » مجموعة من القبائل العربية واستطاعت أن تكون دولا يمكن أن نطلق عليها « دول مدن » ، امتد تاريخها بين القرن السادس ونهاية القرن الثالث ق.م ، وهذه الدول هي : دولة ديدان، ثمتليها دولة لحيان ، ثم وقعت العلا تحت الحكم المعيني الذى انتهى على يد الانباط من الشمال .

● دولة ديدان :

ويعود الفضل في التعرف على دولة ديدان الى العالم الالماني Grimme الذى تمكن من خلال دراسته ، للنقوش التي جمعت من هذه المنطقة ، أن يميز اشكالا من الحروف لها ميزات خاصة تميزها عن غيرها من الحروف في المنطقة ، وان كانت لا تختلف عن كتابة الخط المسند وهي الكتابة التي كان يكتب بها شعب جنوب الجزيرة العربية ، اذ لاحظ Grimme تكرر كلمة « ددن » مسبوقة بكلمة « ملك » في هذه المجموعة من الكتابات ، وقد أيد العلماء Grimme فيهذا الراى ، واضافوا الى ذلك تعديلات كانت لها أهميتها كما فعل Winnett وقد حدد العلماء تاريخ مملكة ديدان بانه مابين القرن السادس والقرن الخامس قبل الميلاد ، وهي فترة تبدو قصيرة فيحياة الممالك ، الا أنه ليس من اليسير أن نبرهن على أن هذه المملكة قد عاشت اكثر أو أقل من هذه المدة ، أما النظام السياسي فهو نظام ملكى يغلب عليه الطابع الوراثي ، ولا ندرى اذا كان هناك مشائخ قبائل وأمراء يعينون من قبل الملك ، وان كنا لا نستبعد ذلك رغم أننا لا نعرف لها حدودا اكثر من مدينة العلا نفسها .

● دولة الحيان :

عند دراستنا لمملكة لحيان نجد أن المصادر الكلاسيكية قد تحدثت عن لحيان كشعب عاش في شمال الجزيرة العربية ، وامتدت سلطته حتى شملت معظم شمال الجزيرة ، واطلق اسمه على خليج العقبة ، واصبح يسمى خليج لحيان . ومن خلال النقوش التي وجدت في المنطقة يعرف ان مملكة لحيان عاشت في هذه المنطقة ردحا من الزمن ، وكان عاصمتها على ما يبدو « الغريبة » وهي جزء من مدينة العلا حاليا ، ويكثر وجود المقابر فيها على سفوح الجبال والقصور في السهول ، ما بين الجبال الشرقية والغربية الممتدة من الشمال الى الجنوب ، ومما لا شك فيه انها قد توسعت حتى شملت مدينة العلا بحجمها الحالي جنوبا ، وامتدت شمالا حتىقبيل مدائن صالح (الحجر) عندما يطلق عليه « شقيق

الذئب » وهذا التحديد يعتمد على امتداد النقوش اللحيانية ، أما عن حدود المملكة : فهناك من يرى أنها امتدت حتى شملت نجدا ووصلت الى الاحساء ، ويبنى رأيه هذا على محاولة الجمع بين اسم الاله « ذو خرج » وهو احد معبودات اللحيانين ، وبين اسم مدينة الخرج . وفي مفهومه أن مدلول الكلمتين واحد ، وهو الخصوبة وكثرة المياه ، ولكن توارد الاسماء متشابها بين مكان وآخر ، وبين معبود واسم مكان ، لا يمكن أن يقوى كدليل على اتساع مملكة لحيان ، ومع ذلك فاننا لا نستبعد ان يكون نفوذها التجارى قد اتسع حتى شمل هذه المنطقة ، كما لا نستبعد وجود جاليات لحيانيه عاشت فيها حفاظا على الطريق التجارى في شمال الحجاز ، أما اتساع مملكة لحيان ، شمالا فمن المحتمل ان يكون قد وصل الى البتراء ، اذا أخذنا تسمية خليج العقبة بخليج لحيان في الاعتبار .

وقد حدد العلماء تاريخ دولة لحيان بين بداية القرن الخامس ونهاية القرن الثالث قبل الميلاد ، وهذا التحديد لتاريخها مغاير لما ذهب اليه « كاسكل » حيث حدد تاريخ دولة لحيان ما بين القرن الثاني ق.م ، والثاني بعد الميلاد ، وقد قدر في تحديده هذا ان فترة استيلاء الانباط على مدائن صالح والعلا تقع بين فترتين ، الفترة الاولى وأطلق عليها اسم لحيان الأولى . والفترة الثانية وأطلق عليها لحيان الثانية ، وذلك اعتمادا على وجود اسم ملك لحياني يسمى « مسعود » وجد بين النقوش النبطيه بخط أرامي نبطى ، واستنتج من ذلك أن مسعودا هذا ما هو الا استمرار لمملكة لحيان بعد ذهاب الانباط وجلائهم عن المنطقة ، والذى نعتقده هو أن مسعودا هذا ربما كان عبارة عن وال من ولاة الانباط ، ولكنه لحيانى الاصل ، وكان صدى مملكة لحيان لا يزال يتردد في مخيلته فكتب هذا النقش ، ومهما كانت التفسيرات فان المشهور بين المؤرخين المحدثين هو ما أشرنا اليه .

وقد كان نظام الحكم وراثيا يقوم على أسرة واحدة ، وقد ينتقل من أسرة الى اخرى ، وكان هناك مجلس استشارى للملك ، كما كان الملك يعين الامراء ومشايخ القبائل ، وهنا ايضا نواجه مشكلة تسلسل الملوك ، كما يواجهها المؤرخون بالنسبة لملوك سبا ، وبقية ممالك الجنوب ، ولكنها هنا اخف وطاة لقصر الفترة الزمنية .

وقد انتهت دولة لحيان على يد المعينين ، عندما وصلوا الى المنطقة واستولوا عليها فيما بين نهاية القرن الثالث والقرن الاول ق.م ، حفاظا على تجارتهم ومكاسبهم المادية ، وقد تركت دولة معين عددا لا بأس به من النقوش في المنطقة ، استطعنا من خلالها ان نعرف عددا من الحكام الذين كانوا يحكمون بواسطة ولاتهم هذه المنطقة ، ويعتقد بعض المؤرخين ان وجود دولة معين في الشمال لا يعني انقضاء دولة لحيان ، وانما حصل اتفاق بين الطرفين على أن يكون للمعينيين ادارة النواحي التجارية وللحيانيين الناحية الادارية وتنظيم شئون الحكم ويستدل على ذلك بما وجد من ان شخصية معينية قدمت قربانا لمعبود لحياني وهو « ذو غابت » او « صاحب الغابة » ولكننا لا يمكننا من خلال سلوك كهذا ان نحكم باستمرار دولة لحيان اذ ان عملا كهذا لا يعدو أن يكون شبه رسمي ، يقوم به بعض الولاة مشاركة للشعب الذى يحكمونه وخاصة اذا ما كان مفهوم هذا المعبود يتفق مع مفهوم احد معبودات الحاكم في العصور القديمة .

وقد زال حكم دولة معين في الشمال على يد الانباط ، اما الشعب اللحياني فتذكر الكتب العربية وجودهم حول مكة ، وكانوا على خلاف مع الرسول صلى الله عليه وسلم في بدء الدعوة ، ولا يزالون حول مكة الآن ، كما تذكر الكتب العربية أيضا ان هجرة لحيانية اخرى اتجهت صوب العراق وتركزت في الحيرة ، كما يذكر بعض المؤرخين ان احد ملوك المناذرة كان لحيانيا وان كان هذا الخبر يحتاج الى تحقيق .

وتذخر مدينة العلا بالآثار ، ومعظمها آثار لحيانية ، كما أن هناك كتابات ديدانية تعود الى فترة دولة ديدان ، وكتابات معينية كما ذكرنا ، أما الكتابات اللحيانية فهي الغالبة في مرحلتها المبكرة والمتاخرة ، وكل الكتابات تنحدر من خط المسند ، الذى كان شائعا في جنوب الجزيرة العربية ، وهناك مجموعة من المقابر تتميز عن المقابر في مدائن صالح ، اذ أنها شبه مربعة الشكل ، لا تزيد فتحتها عن متر مربع ، وعمقها في داخل الصخر حوالي مترين ،وأمثال هذه المقابر موجودة في فلسطين وفي الاسكندرية ، كما يوجد في العلا مجموعة من المنحوتات على الجبال لحيوانات عرف أخيرا انها تماثيل لاسود ، وهي تقليد لأسد من أسود الماء وجد في خريبة العلا نفسها ، وهذا الاسد شبيه بالاسود العيشية التي يرجع تاريخها الى القرن السابع قبل الميلاد ، ولا يستغرب وجود مثل هذا الاسد في العلا ، اذا عرفنا أن العلا (ديدان) تعد من أهم مراكز التجارة بين الشمال والجنوب ، ومراكز التجارة تكون دائما مراكز للتاثر والتاثير الحضارى ، وقد استطاع اللحيانيون تقليد هذا الاسد ، ولكنه تقليد ليس بالجيد ، ولعل حفريات أثرية تكشف لنا عن تاثيرات ، أخرى ، وتقليد اكثر دقة ، وربما تظهر فيها ايضا شخصية النحات المحلي •

ولعل من أهم الاثار الواضحة في الوادى ذلك المعبد الذى أشار اليه كل من جرسين وسافنياك ، وهذا المعبد يوجد في منطقة الخريبة ، والذى يوجد فيه ما يعرف بمحلب الناقة ، وفيه وجدت تماثيل بطول الانسان لملوك لحيان ، كسر بعضها أهل العلا انفسهم ، وانقذ البعض الاخر ، وان كنا لا نعرف مكانها الآن ، وهذه التماثيل متاثرة بالنحت الفرعوني في النصف الاعلى من الجسم ، ومن حيث الملبس السفلى ، ولكنها تحمل الطابع العربي المتمثل في شكل الوجه ، وما وضع على الرأس مما يشبه العقال والعمامة ، وقد وجدت على قواعد صخرية مربعة تحمل كتابات يذكر فيها اسم الملك ، وتاريخ مكة ، وشيء من أعماله ، ولازالت احدى هذه القواعد بارزة في الخريبة ، ولا نشك في ان اجراء حفرية أثرية مكان المعبد سوف يضيف الكثير عن تاريخ هذه المدينة العريقة في تاريخها •

● مدائن صالح (الحجر) :

تبعد عن مدينة العلا حوالي ١٥ كيلومترا شمالا ، واسمها الذى ورد في القرآن « الحجر » ، وهي التي كان فيها قبيلة ثمود ، قوم نبي الله صالح عليه السلام ، ومدائن صالح من جملة منازل وادى القرى ، وتتكون من عدة جبال متناثرة ، وهي جبال رملية ، ولذا سهل على سكانها أن ينحتوا فيها مقابر لهم ، وهذه المقابر منتشرة في معظم هذه الجبال ، وهذه المقابر اجتمعت في نحتها عناصر فنية مختلفة فرعونية واغريقية ورومانية وعربية ، مما نتج عنه مزيج جعلها مدرسة فنية رائعة ، وهي تشبه الى حد كبير ما هو موجود في « البتراء » عاصمة الانباط ، ولعل هذا سببه انها ذات حضارة واحدة وان كانت مقابر مدائن صالح تتميز بوجود شواهد عليها مكتوبة بالخط الارامي النبطي ، وقد درس كل من جوسين وسافنياك واجهات المقابر ، وقسماها الى ثلاثة اقسام ليس هنا مجال تفصيلها ، وان كان الغالب عليها انها ذات حجرة واحدة مساحتها حوالي ١٦ مترا مربعا حيث نجد أكثر من قبر في داخل هذه الحجرة ، وقد يصل عدد المقابر داخل الغرفة الى تسعة • وهي من نوع المقابر الدينية ، وتعلو المقابر تماثيل لرؤوس خرافية كما تعلوها تماثيل لنسور وثعابين وكواكب مما له صلة بالوثنية التي كانت سائدة قبل الاسلام ، وهذه المقابر تمثل فترات تاريخية من العصر النبطي في مدائن صالح ربما لا تتعدى القرن الثاني قبل الميلاد ، وتوجد في سهل مدائن صالح آثار مبان قديمة قد تكون بقية للمدينة التي كان يسكنها سكان مدائن صالح في عصورها المختلفة ، ولا نشك في أن الاهتمام باجراء حفر تنقيب أثارى في مدائن صالح سوف يكشف لنا كثيرا من تاريخ هذا الجزء الهام من جزيرتنا العربية •

● تيماء :

اسم تاريخي له دور كبير في تاريخ شمال الجزيرة العربية السياسي والاقتصادى ، وذلك لوقوعها على الطريق التجارى بين الشمال والجنوب ، وقد ظهرت تيماء على المسرح السياسي منذ حوالي القرن الثامن قبل الميلاد ، وذلك بناء على ما جاء في الكتابات الاشورية التي تذكر ان تجلات بلاسر الثالث ملك اشور قد أخذ الجزية من تيماء كما اخذها من غيرها من الواحات العربية ، وقد جاء ذكر تيماء في التوراة ، في كل من سفر أيوب ، وسفر أشعيا وغيرهما من الاسفار ، كمركز تجارى هام وكمستقر لبعض القبائل العربية .

وقد استهوت تيماء الملك البابلي نبونيد ، واختارها مستقرا له لظروف لم يصل العلماء بعد الى معرفة اسبابها ، وقد ذكر نبونيد في نقش وجد في حران سنة ١٩٥٦ انه بني في تيماء مدينة جميلة كما بني فيها قصرا شبيها بقصره في بابل ، وانه قتل اميرها (ملكو) كما يذكر انه احتل كلا من ديدان (العلا) وفدك (الحائط) وخيبر ويثرب (المدينة المنورة) ، وقد عاش فيها مدة عشر سنوات من سني حكمه البالغة ستة عشر سنة ٥٥٦ـ٥٣٩ قبل الميلاد ، ولعل من يزور تيماء يشاهد بقايا هذه المدينة العظيمة ، التي تنتظر معاول علماء الآثار لتكشف عن مكنوناتها ، وتفصح عن تاريخها ، وتتحدث عن حقيقة ما حدث في هذه الفترة .

وفي تيماء وجدت مسلة تيماء الشهيرة ، والتي وجدها هوبر سنة ١٨٨٣ والتي كتبت على وجه واحد بالخط الآرامي ، وعلى الجانب الايسر نقش عليها رسمان ربما كانا لملك وكاهن ، ويحاول العلماء الجمع بين رسم من يمكن أن يكون ملكا في مسلة تيماء ، وبين ما وجد في مسلة حران ، والتى سجلها الملك نبونيد ليصلوا من ذلك الى ان الرسمين ربما كانا لشخصية واحدة ، هي شخصية نبونيد نفسه ، أو على الاقل بما كتبت في عصر نبونيد ، وعلى كل فالمتفق عليه الآن هي انها تعود الى القرن الخامس قبل الميلاد ، وتشير المسله الى وجود معبود ، هو صلم ، ولعله كان الاله الرئيسي الى جانب الالهه الاخرين (وعرف بان صلم هجم) وقد وجد ذكر لصلم في جبل غنيم في تيماء ، ويرى بعض العلماء أن معبد صلم ربما كان على قمة جبل غنيم ، ولكن ليس هناك ما يؤكد ذلك .

ولعل من اهم معالم تيماء بئر هداج التى يذكر انه كان يمتح منها باربعين بعيرا في وقت واحد ولعل للفظ هداج صلة باسم المعبود هدد وأدد ، ودد ، الذى كان معروفا بين الساميين في المنطقة ، وهو آلة المطر بشكل عام ، ولا زالت تستعمل مياه هذه البئر حتى وقتنا الحاضر .

ومن الاثار الهامة في تيماء ما يعرف بقصر السموال (القصر الأبلق) ويقع غرب تيماء ، وهو مربع الشكل تقريبا ، وفي وسطه بئر ، وله دعامات من الخارج ، ويشبه في تصميمه وتنفيذه حصن كعب بن الاشرف في المدينة المنورة . وقد كان السموال يهودى العقيدة ، ولكنه غساني الأصل كما يذكر ابن حبيب في المحبر حين جعله من الوافين من العرب ، ونحن نميل الى قبول ذلك لانها تتمشى مع الفترة السياسية التي حكم فيها الغساسنة وعاصرها السموال ، فقد كان الغساسنة هم المسيطرون على الطريق التجارى من الشمال صوب الجنوب ، ولذلك فهم في حاجة الى من يحمى الطريق ، ولا يستبعد أن السموال كان ممن لهم سلطة في هذه الناحية مستمدة من صلته بالغساسنة .

● دومة الجندل :

وتسمى حاليا الجوف ، وقد كانت تسمى لدى الاشوريين « أدوماتو » وفي التوراة جاءت بلفظ « دومة » أما الجندل فهو الصخر ، اذ أن دومة الجندل تقع على حافة النفود الشمالي ، ولذلك كانت لها اهمية كبيرة في التاريخ القديم ، وكانت تعتبر قلعة الجزيرة العربية الشمالية في وجه المهاجمين من الشمال والشمال الشرقي ، واذا ما سقطت دومة الجندل تساقطت بالتالي باقي المدن المجاورة .

وتذكر الكتابات الاشورية أنه في سنة ٦٨٨ ق.م ارضخ الملك الاشورى سنحريب منطقة ادوماتو

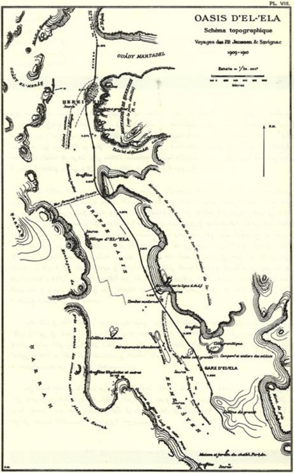

OASIS D'EL-'ELA

Schéma topographique

Voyages des PP. Jaussen & Savignac

1909-1910

Echelle = 1/30.000
Mètres
N.M.
OUÂDY MA'ATADEL
OUÂDY EL-MERÂḤ
ḤEREIMEH
Source
MONTAGNE DE ḤEREIMEH
Tombes
Graffites
Tala'at el-Ḥamrah
GRANDE OASIS
Source
Village d'EL-'ELA
HARRAH
Tombes modernes
Graffites
Colline granitique
Colline rocheuse
Baraquements abandonnés
Puits ceinturé granite
Campement et ateliers des soldats
GARE D'EL-'ELA
Source
Graffites liḥyanites et autres
EL-MENSYEH
Source
Colline de granit
HARRAH
Maison et jardin du chaikh Farḥân
Graffites
Source

وقد حمل الملك سنحريب معه الى نينوى الآلهة المحليين ، كما حمل معه ملكة دومة وهي « تعلغونو » والتي كانت في حقيقتها كاهنة ايضا ، وبعد ذلك فك أسر هذه الملكة ولكنها لم تنس ماحصل لها من ذل فتحالفت مع الثوار البابليين ضد الاشوريين ومع رئيس قبيلة قيدار ، وكانت قاعدتها تدمر ، وكان يسمى حزائيل ، ولكنها لم توفق ، وكانت دومة مركزا دينيا هاما للقبائل العربية في هذه الفترة ، كما كانت المنطقة قد عرفت تولي ملكات للسلطتين الدينية والزمنية ، ذكر منهن زبيب وسمسى وياتي (يعطى) تعلخنو وتربي وكن يسمين ملكات شبه الجزيرة العربية ٠

وتذكر الكتب العربية بعدئذ وجود حاكم عربي ، كان يسمى الاكيدر بن عبد الملك السكوني ، وتشير بعض هذه الكتب الى أنه يهودى الاصل ، وتنسب بناء القصر الموجود فيدومة الجندل (قصر مارد) الى سليمان ككل شيء يبدو شاهقا وقويا ، ولكن حقيقة الامر أن الاكيدر كان عربيا ، وهو من كندة ، اى جنوبي ، ولا نستبعد ان تكون دولة كندة قد وضعت السكونيين في هذه المنطقة ، ولعل هذه العائلة هي التي بنت هذا الحصن لكي يكون حامية للمدينة ، ولعل قصر مارد وهو اوضح اثر مبنى في دومة الجندل ، بل في شمال الجزيرة العربية حتى الان ، قد بني قبيل القرن الثالث الميلادى ، وذلك لاسباب منها صلة السكونيين بكندة ، ومنها ايضا ان هذا الحصن يشتمل في بعض اجزائه على نقوش نبطيه ، والانباط قد انتهت دولتهم في بداية القرن الثاني للميلاد ، ومع ذلك فالحصن ليس من عمل فترة واحدة ، ولكن من فترات متعاقبة لعل اخرها منذ نصف قرن فقط ، ويوجد بجانب الحصن مسجد قديم متداع ، يقال انه بني في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وله مئذنة من الحجر ترتفع حوالي ٥٠ قدما ٠

وقد كان في دومة الجندل سوق عربية تسمى سوق دومة الجندل ، تبدأ في أول يوم من شهر ربيع الأول وتنتهي في النصف منه ٠ وكانت تسكن دومة الجندل قبل الاسلام قبائل طي وجديلة وكلب ، وتذكر الكتب العربية انه كان يتنازع على حكم دومة الجندل الأكيدر وشخص آخر يسمى قنافة الكلبي ، فاذا ما ظهر اثر الغساسنة في المنطقة حكم قنافة ، وهكذا نلاحظ التنافس الكبير بين كندة والغساسنة على الطريق التجارى ٠

وفي دومة الجندل كان ود من أشهر المعبودات ، وكان لبني وبرة ، وكان سدنته بني الفرافصة ابن الأحوص بن كلب ٠ وتذكر الكتب العربية أن عمرو بن لحي الذى جاء بالاصنام الى مكة كان من دومة الجندل ، ومن هذا يمكن أن نقول ان دومة الجندل لم تكن سوقا تجاريا فقط بل مركزا من المراكز الدينية بالنسبة للجزيرة العربية ٠

ولعل هذه اللمحات عن بعض المدن القديمة بما فيها من اشراق حضارى لا تعطي الصورة الكاملة عن هذه المدن ، لأسباب : منها انها تحتاج الى تنقيب اثرى منظم ، ومنها أن كثيرا من النواحي التاريخية لا زالت محل نقاش بين العلماء ، ولكن ما قدمناه يعطي الصورة المضيئة عن أثر العامل الاقتصادى في حياة هذه المدن ، والتي كان انحسار العامل الاقتصادى عنها سببا في انزوائها في تضاعيف التاريخ ، ولكن بريق أدوارها لازال يفرض نفسه على سراة العصور والحقب من علماء الآثار والتاريخ

المراجع

1) Caskel, w : Lihyan und Lihyanisch, Köln 1953
2) Cook, G.A : A Text Book of North - Semetic Inscriptions Oxford, 1907.
3) Grohmann, A : Arabien, Munich, 1962.
4) Hastings, J : Dictionary of the Bible, Edinburgh, 1936.
5) Hitti, KPH. : History of the Arabs, London , 1961
6) Jaussen & Savignac : Mission Archeologique en Arabie vol. II Paris, 1914.
7) Musil, A : The Northen Hegaz, New York , 1926.
8) Parr, P.J. and others : Preliminary Survey in N.W. Arabia 1968. Bulletin of the Institute of Archeology Nos. 8,9,10; London, 1970 , 1972
9) Winnett, F.V. & Reed : Ancient Records from North Arabia, Toronto 1970

١ ـ الاندلسى ، علي بن حزم : جمهرة انساب العرب ٥ القاهرة ١٩٦٢ م •
٢ ـ حبيب ، محمد بن : كتاب المحبر ، بيروت •
٣ ـ دريد ، محمد بن احمد بن : الاشتقاق ، القاهرة ، ١٩٥٨ م •
٤ ـ علي جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ١٩٦٨ •

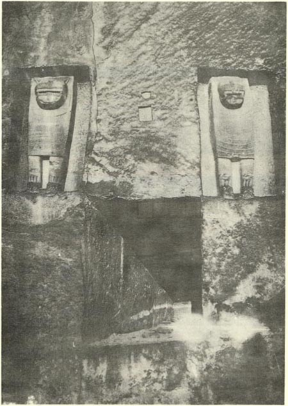

● تقليد لأسد الماء الحثي على احد المقابر في العلا ●

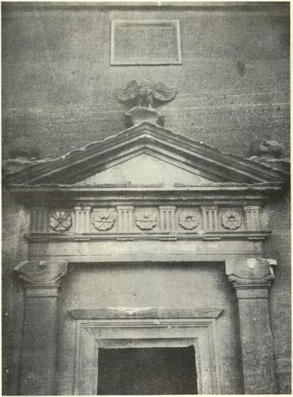

● واجهه أحد المقابر في حدائق صالح ويرى في العناصر المعمارية المختلفه والنسر واللوح المكتوب بالخط النبطى الارامي كشاهد قبر ماخوذة من كتاب رحله الى بلاد العرب / لجهستي جاسو ●

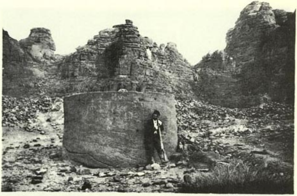

● محلب الناقه في الخريبه بالعلا ●

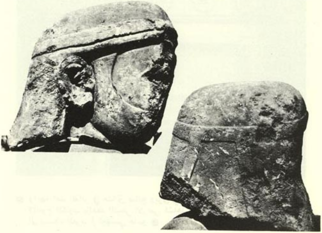

● رأس من الجانب والخلف وجد في الخريبه ●

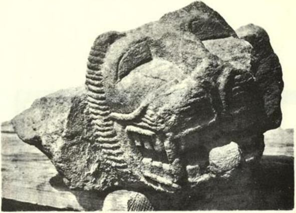

● اسد الماء الذي وجد في الخريبة وهو اسد حشي ●